فضائلُ غزَّة مَسْقِط رأسِ الإمامِ الشَّافعيِّ

مصطفى محمد رزق السواحلي[1]

ملخص

تُعَدُّ غزَّة من أكثرِ بقاعِ الأرضِ التي حازتْ من التغطيةِ الإعلاميَّةِ مُواليةً أو مُعاديةً ما لم تَحُزْهُ بقعةٌ سِواها؛ لأنَّ شعبَها المجاهِدَ يعيشُ في أكبر سجنٍ مفتوحٍ على وجه الأرض، ويُناضلُ من أجلِ حياةٍ حرَّةٍ كريمةٍ في مواجهةِ أخبثِ وأقسى احتلالٍ عرفتْهُ البشريَّةُ. وتهدفُ هذه الدراسةُ إلى إحصاءِ وتصنيفِ فضائل "غزَّة" كما سُطِّرتْ في كتبِ التراث العربيِّ على اختلاف مجالاتها؛ تبيانًا لمكانة هذه البقعةِ العزيزةِ من ديار الإسلام، وتعزيزًا لمكانتها الحضاريَّة، ودعمًا لصمودِ أهلها في مواجهةِ العدوانِ. وذلك من خلال المنهجِ الوصفيِّ التَّحليليِّ، حيث صُنِّفَتْ تلك الفضائلُ إلى خمسةِ محاور، هي: كونها بضعةً من الأرض المقدَّسة، وعراقة تاريخها، وأهمِّيَّة موقعها الاستراتيجيّ قديمًا وحديثًا، وثراء الدَّلالاتِ الإيحائيَّةِ لاسمها، وكونها موطنًا لكثيرٍ من الأماجد على مرِّ التاريخ. وقد انتهى البحثُ إلى جملة من النتائج أهمُّها: من أعظم مفاخر أنَّها جزءٌ من أرض الشَّام، وهي الأرض المقدَّسة التي بارك الله فيها بنصوصِ القرآنِ والسُّنَّةِ. تُعَدُّ غزَّة من أقدم بقاعِ الأرض؛ حيث بلغ كثيرٌ من المؤرِّخين بتاريخها إلى عام 4000 قبل الميلاد، وقد تعاقبَ عليها خلالَ هذا التاريخِ الطَّويلِ عشراتُ الشُّعوبِ والأُمَمِ. تتمتَّعُ غزَّة بموقعٍ استراتيجيٍّ فريدٍ، لأنَّها حَلْقَةُ الوَصْلِ بين قارتي آسيا وأفريقيا، وهي على الطريق التجاريّ الرئيس الذي يربط اليمن والجزيرة العربية بالشام، كما أنَّها كانت دائمًا مركزًا مُهِمًّا من مراكز البريد. كانت التجارةُ في غزَّة سببًا مباشرًا في ثراءِ كثيرٍ من العرب قبل الإسلام، وعلى

[1] الأستاذ بكلية اللغة العربيَّة، جامعة السلطان الشريف عليّ الإسلامية، بروناي دار السلام.

رأسهم هاشمُ بن عبد مناف جدُّ الرَّسولِ ﷺ، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه. يرفضُ الباحثُ جُلَّ الاجتهاداتِ التفسيريَّةِ لاسم غزَّة على ثراء دلالاتها؛ لأنَّها لا تستندُ إلى دليلٍ علميٍّ موثَّقٍ. أنجبتْ غزَّة على مرِّ التاريخ الآلاف من الزعماءِ والعُلماءِ والأدباءِ وغيرهم من الفُضلاءِ، منذ ابتداءِ التاريخِ الإسلاميِّ حتى يومنا هذا. من أعظم مفاخر غزَّة انتسابها إلى هاشم بن عبد مناف، فهو قيمةٌ وقامةٌ إنسانيَّةٌ كبرى. ويؤيِّدُ الباحثُ ما ذهب إليه جمهور المؤرِّخين من أنَّ غزَّة هي مسقط رأس الإمام الشافعيّ، وفي الوقت نفسه يقرِّر أنَّ غزَّة لم تؤثِّر فيه فكريًّا ولا ثقافيًّا، وإنَّما بيئةُ الحجازِ هي الأولى به ثقافيًّا.

الكلمات المفتاحية: الأرض المقدَّسة – غزَّة – هاشم بن عبد مناف – الإمام الشافعيّ.

مقدمة

لا أظنُّ أنَّ بقعةً على وجه الأرض حازتْ من التغطيةِ الإعلاميَّةِ مواليةً أو مُعاديةً ما حازتْ غزَّة، ولا أعتقد أنَّ مساحةً جغرافيَّةً صغيرةً دارتْ حولها دراساتٌ دينيَّةٌ واجتماعيَّةٌ واقتصاديَّةٌ وسياسيَّةٌ وعسكريَّةٌ مثل ما دارت حول غزَّة، ولستُ أرى شعبًا يعيشُ في أكبر سجنٍ مفتوحٍ على وجه الأرض وسط أحوالٍ معيشيَّةٍ بالغةِ التعقيدِ والصُّعوبةِ، ومع ذلك يُجاهدُ من أجل حياةٍ حرَّةٍ كريمةٍ كما يُجاهد أهل غزَّة؛ ذلك أنَّ اسمها ارتبطَ بأخبثِ وأقسى احتلالٍ عرفته البشريَّةُ في القرنين العشرين والحادي والعشرين، والذي ما يزال جاثمًا على صدر الشعب الفلسطينيِّ خاصَّةً، والشعوبِ العربيَّةِ والإسلاميَّةِ عامَّةً حتى هذه الساعة. وغنيٌّ عن البيان أنَّ كلَّ الشَّرائعِ السَّماويَّة والقوانين الوضعيَّة تسمح للشعوب المحتلَّةِ بمقاومة المحتلِّ الغاصبِ بكلِّ الوسائل الـــمُمْكِنَةِ سياسيًّا وعسكريًّا، لكنَّ مقاومةَ الشعب الفلسطينيّ للمحتلِّ تعرضتْ ولا تزال تتعرَّضُ للتشويه والتآمُرِ كما لم تتعرضْ مقاومةٌ على وجهِ الأرضِ، ومع وضوحِ هذه المؤامرةِ وشدةِ الحصارِ وقسوةِ العيشِ ضربَ هذه الشعبُ المناضلُ أروعَ الـــمُثُلِ في التَّضحيةِ والفداء، وسطَّرَ وما فَتِئَ يُسطِّرُ كلَّ يومٍ ملاحمَ من الصمودِ الأسطوريِّ التي سيكتبُها التاريخ بحروف من نور، وسيُخَلِّدُها وإنْ كَرِهَ المتآمرون.

وليس من أهدافِ هذا البحثِ مناقشةُ القضيَّةِ الفلسطينيَّةِ من الناحية السياسيَّة، ولا تقييم المقاومةِ من الناحية العسكريَّة، ولا وصفَ قسوةِ الأحوالِ المعيشيَّة، فتلك قضايا سُطِّرتْ فيها موسوعاتٌ لو وُصِلَتْ أوراقُها لأحاطتْ بالكرةِ الأرضيَّةِ عِدَّةَ مرَّاتٍ، وهناك مراكزُ بحثيَّةٌ كثيرةٌ متخصِّصةٌ في دراسة هذه القضايا. وإنَّما هدفُ هذه الدراسة هو إحصاءُ وتصنيفُ فضائل "غزَّة" كما سُطِّرتْ في كتبِ التراث العربيِّ على اختلاف مجالاتها؛ تبيانًا لمكانة هذه البقعةِ العزيزةِ من ديار الإسلام، والتي كان له دورٌ حضاريٌّ ممتدٌّ لآلافِ السنين، راجيًا أنْ يكونَ هذا البحثُ تعزيزًا

لمكانة غزَّة، ودعمًا لصمودِ أهلها في مواجهةِ العدوانِ الذي يَتوالَى ولا يتولَّى، وهو ما تُجلِّيه العناصرُ الآتيةُ:

أولا: قطعةٌ من الأرضِ المقدَّسةِ المباركةِ:

غزَّةُ جزءٌ عزيزٌ من أرض الشَّام، وهي الأرض المقدَّسة التي بارك الله فيها، كما تظاهرتْ الأدلَّةُ من القرآن الكريم والسُّنَّة المطهَّرة، ففي القرآن الكريم وصفها الله تعالى بأنَّها أرضٌ مباركة في آياتٍ عديدةٍ، أكتفي بذكر ثلاث منها، هي: قوله تعالى: ﴿سُبْحانَ الَّذِي أَسْرى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بارَكْنا حَوْلَهُ﴾،(1) وقوله: ﴿وَنَجَّيْناهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بارَكْنا فِيها لِلْعالَمِينَ﴾،(2) وقوله: ﴿وَلِسُلَيْمانَ الرِّيحَ عاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلى الْأَرْضِ الَّتِي بارَكْنا فِيها﴾. (3)

والأرض المقدَّسة والمباركة في قول جمهور المفسِّرين منذ القرن الأول حتَّى الآن هي الشَّام، فعن أُبَيِّ بن كعب ﷺ (ت21هـ) في تفسير الأرض المباركة التي نجَّى الله إليها إبراهيم ولوطًا عليهما السَّلام قال: «الشَّام، وما من ماءٍ عذبٍ إلَّا يخرجُ من تحت الصخرة».(4)

وعن عبد الله بن عباس ﷺ (ت68هـ) في تفسير الأرض المباركة التي نجَّى الله إليها إبراهيم ولوطًا عليهما السَّلام أنها أرض الشام، وكانا بالعراق، زاد القرطبيّ (ت671هـ) في التعليق على هذا القول: «وقيل لها مباركةٌ؛ لكثرة خصبها

---

(1) سورة الإسراء، الآية: 1.

(2) سورة الأنبياء، الآية: 71.

(3) سورة الأنبياء، الآية: 81.

(4) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشيّ. (1414هـ/ 1990م). **تفسير القرآن العظيم**. تحقيق: محمود حسن. بيروت: دار الفكر. ج: 3، ص: 226.

وثمارها وأنهارها؛ ولأنها معادن الأنبياء. والبركة ثبوت الخير، ومنه برك البعير إذا لزم مكانه فلم يبرح». [1]

وعن مجاهد ﷺ (ت104هـ) في تفسير القُرَى التي بارك الله فيها، والتي باعد الله بين سبأ وبينها قال: «الشَّامُ».[2]

وعَنِ الحسَنِ البصريّ ﷺ (ت110هـ) في تفسير الأرض مشارق الأرض ومغاربها التي أورثها الله المستضعفين من بني إسرائيل، والَّتي بارك الله فِيهَا قال: «هي أرض الشَّامُ». [3]

وعن قتادة (ت118هـ) في تفسير الأرض التي نجَّى الله إليها إبراهيم ولوطًا بهجرتهم إليها، قال: «كَانَا بِأَرْضِ العِرَاقِ، فَأُنْجِيَا إِلَى أَرْضِ الشَّامِ. وَكَانَ يُقَالُ لِلشَّامِ عِمَادُ دَارِ الهِجْرَةِ، وَمَا نُقِصَ مِنَ الأَرْضِ زِيدَ فِي الشَّامِ، وَمَا نُقِصَ مِنَ الشَّامِ زِيدَ فِي فِلَسْطِينَ. وَكَانَ يُقَالُ: هِيَ أَرْضُ الـمَحْشَرِ وَالـمَنْشَرِ، وَبِهَا مَجْمَعُ النَّاسِ، وَبِهَا يَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، وَبِهَا يُهْلِكُ اللَّهُ شَيْخَ الضَّلَالَةِ الكَذَّابَ الدَّجَّالَ». [4]

فهؤلاء خمسة مفسرين من جيل الصحابة والتابعين قد أجمعوا على هذا التفسير، وقد نقل أئمة التفسير على مدار أربعة عشر قرنًا أقوالهم بالرِّضا والقبول،

---

(1) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاريّ الخزرجي. (1427هـ/ 2006م). **الجامع لأحكام القرآن** (تفسير القرطبي). تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي (وآخرين). بيروت: مؤسسة الرسالة. ج: 14، ص: 230.

(2) الطبري، محمد بن جرير. (1422هـ/ 2001م). **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** (تفسير الطبري). تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي. القاهرة: دار هجر. ج:10، ص: 405.

(3) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. (د. ت). **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**. بيروت: دار الفكر. ج: 3، ص: 526.

(4) الطبري. **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**. ج: 12، ص: 312.

واستقصاء أقول المفسرين في تلك القرون المتطاولة يخرجنا عن هدف البحث، كما أنَّه قائم على النقل والتكرار.

أمَّا في السنة النبويَّة، فقد أُلِّفتْ عشرات المؤلَّفات في فضائل الشَّام، تجمع مئات الآثار في فضائل تلك البقعة المباركة، منها: فضائل الشام ودمشق، لأبي الحسن عليّ بن محمد الربعي (ت444ه)، وفضائل الشام، للحافظ عبد الكريم السمعاني (ت562ه)، وفضائل الشام، للضياء المقدسي (ت643هـ)، وترغيب أهل الإسلام في سكنى الشام، للعِزِّ بن عبد السلام (ت660ه)، وفضائل الشام، لمحمد بن أحمد بن عبد الهادي بن قُدامة (ت744ه)، وفضائل الشام، لابن رجب الحنبليِّ (ت795ه)، وفضائل الشام، لمحمد بن أحمد شمس الدين الأسيوطيّ (ت880ه)... وغيرها.

ونحن نُسَلِّم أنَّ كثيرًا من الكتبِ المؤلَّفةِ في فضائلِ البُلْدانِ والأمصارِ مُكْتَظَّةٌ بالأحاديثِ الضعيفةِ والموضوعةِ، بوازعٍ من العصبيَّةِ والتنافسِ بين المدن والأمصار، فأهل كلِّ مِصْرٍ يرفعونه إلى ذُرَا العَلاء، ويجعلونه قطعةً من جنات النعيمِ، ويخفضون مِصْرًا مُعَاديًا إلى وَهْدَة الذلِّ والانحطاط، ويجعلونه بضعةً من الجحيم، ولكنَّنا نغضُّ الطَّرْفَ عن تلك الأحاديث الموضوعة بل نترك الضعيفة أيضًا؛ لأنَّ في الصحيح بلاغًا وغُنْيَة، ونكتفي من الصحيح بثلاثة أحاديث فقط، هي:

(1) عن عبد الله بن عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَأْمِنَا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي يَمَنِنَا» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَفِي نَجْدِنَا؟ قَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَأْمِنَا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي يَمَنِنَا» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَفِي نَجْدِنَا؟ فَأَظُنُّهُ قَالَ فِي الثَّالِثَةِ: «هُنَاكَ الزَّلَازِلُ وَالفِتَنُ، وَبِهَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ». [1]

(1) البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي. (1422هـ). **صحيح البخاري**. تحقيق: محمد زهير الناصر. بيروت: دار طوق النجاة. ج: 9، ص: 54، الحديث رقم: 7094.

(2) عن عَمْرو بن العَاصِ ﷺ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «بَيْنَا أَنَا فِي مَنَامِي، أَتَتْنِي الـــمَلَائِكَةُ فَحَمَلَتْ عَمُودَ الْكِتَابِ مِنْ تَحْتِ وِسَادَتِي، فَعَمَدَتْ بِهِ إِلَى الشَّامِ، أَلَا فَالإِيمَانُ حَيْثُ تَقَعُ الفِتَنُ بِالشَّامِ». (1)

(3) عن أبي أمامة ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الدِّينِ ظَاهِرِينَ لَعَدُوِّهِمْ قَاهِرِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ إِلَّا مَا أَصَابَهُمْ مِنْ لَأْوَاءَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَيْنَ هُمْ؟ قَالَ: «بِبَيْتِ الـــمَقْدِسِ، وَأَكْنَافِ بَيْتِ الـــمَقْدِسِ». (2)

ومن الواضح أنَّ تلك الأحاديث الصحيحة تحوم حول معاني البركةِ والأمنِ والإيمانِ والجهادِ، وكلُّها فضائل أثبتها التاريخُ القديمُ والحديثُ ماديًّا ومعنويًّا.

ثانيًا: عَرَاقَةُ التَّاريخِ:

لا يخالجني شكٌّ في أنَّ مهد الحضارة الإنسانيَّة يكادُ ينحصر فيما بين نهر الفرات بالعراق ونهر النيل بمصر، فالعراق والشَّام ومصر هي مهد الحضارات الإنسانيَّة، فهي سُرَّة العالم، ومتاخمة لمركز الكرة الأرضيَّة بمكَّة المكرَّمة، والتي شاءتْ إرادةُ الله أن تكونَ واديًا غير ذي زرع؛ لحكمةٍ سجَّلها التاريخُ لاحقًا، وأغلب الظنِّ أنّ ما بين الفرات والنيل هو مهبطُ آدم عليه السلام إلى الأرض، حيث عاش الإنسان الأول بجوار نهرٍ عذبٍ، يشرب من مائه، ويصطاد من أسماكه، ويزرع على جنباته، ومن ثم نشأت الحضارات: البابليَّة والآشوريَّة والفينيقيَّة والفرعونيَّة، وحسبك أنْ تقرأ أيَّ قائمة من القوائم الكثيرة المتاحة على شبكة الإنترنت لأقدم المدن على وجه الأرض،

---

(1) ابن حنبل، أحمد بن محمد الشيباني. (1421هـــ/ 2001م). **مسند الإمام أحمد بن حنبل**. تحقيق: شعيب الأرناؤوط (وآخرين). بيروت: مؤسسة الرسالة. ج: 29، ص: 310. حديث رقم: 17775.

(2) المرجع السابق، ج: 36، ص: 656، حديث رقم: 22320.

وأقدم العواصم في التاريخِ، لتجدَ أنَّها تكاد تنحصر في هذه المنطقة، وربما امتدت قليلًا نحو الشرق باتجاه إيران، ونحو الشمال الغربي باتجاه اليونان، ولعلَّ انحصارَ جُلّ الأنبياء في هذه المنطقة خيرُ دليلٍ على أنَّها مركز الدَّائرة التي عاش فيها الإنسان الأول، ومنها انطلق إلى فجاج الأرض، وممَّا يعزِّزُ ذلك ورود أسماء كثيرٍ من مدن الشام في العهدين القديم والجديد، سواءً بصورتها الباقية إلى الآن، أو باختلافٍ يسيرٍ ممَّا تسمح به قوانينُ التطوُّرِ الصَّوتيّ والاقتراضِ اللُّغويِّ.

وقد ورد اسم "غزَّة" في الكتاب المقدس، العهد القديم (التوراة)، في مواضع متعددة باسمها الباقي إلى الآن دون تحريف، من ذلك ما جاء في سِفْرِ التَّكوين: «وَكَانَتْ أَرْضُ الكَنْعَانِيِّينَ مِنْ صَيْدُونَ فِي اتِّجَاهِ جرَارَ إِلَى **غزَّة**، ثُمَّ فِي اتِّجَاهِ سَدُومَ وَعَمورَةَ وَأَدْمَةَ وَصَبُوييمَ إِلَى لَاشَعَ. هَؤُلَاءِ بَنُو حَامٍ بِبُلْدَانِهِمْ وَعَشَائِرِهِمْ، كُلُّ جَمَاعَةٍ بِحَسَبِ لُغَتِهَا». (1)

وفي سِفْر "القُضَاةِ" وردتْ قِصَّةُ السَّيْطرة على "شمشمون" الجبَّار، على يد الفلسطينيِّين من أهل غزَّة، حيث ورد أنَّ امرأة تسمى "دليلة" احتالت لقصِّ شعره، إذ عرفت أنَّ فيه سرَّ قُوَّتِه، ثُمَّ قالت له: «هَجَمَ عَلَيْكَ الفِلِسْطِينِيُّونَ يَا شَمْشُونُ. فَأَفَاقَ مِنْ نَوْمِهِ، وَحَسِبَ أَنَّهُ كَمَا فِي السَّابِقِ سَيَنْتَفِضُ فِي وَجْهِهِمْ، وَيُنْقِذُ نَفْسَهُ، وَهُوَ لَا يَعْلَمُ أَنَّ الرَّبَّ فَارَقَهُ. فَقَبَضَ عَلَيْهِ الفِلِسْطِينِيُّونَ، وَقَلَعُوا عَيْنَيْهِ، وَاقْتَادُوهُ إِلَى **غزَّة**، وَقَيَّدُوهُ بِسِلْسِلَتَيْنِ مِنْ نُحَاسٍ، وَجَعَلُوهُ يَطْحَنُ فِي السِّجْنِ». (2)

فإنْ صحَّتْ هذه الأخبارُ المتكاثرةُ في فقرات العهد القديم، فإنَّها تدلُّ دلالة قاطعة على أنَّ العرب الكنعانيِّين، وأنَّ الفلسطينيِّين كانوا يعيشون في هذه المنطقة منذ زمنٍ سحيقٍ، قبل مجيءِ بني إسرائيل إليها، حيث دخلوها في زمن طالوت ومعه

(1) **الكتاب المقدس**. (1995م). ط4. بيروت: دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط. سفر التكوين، الإصحاح: 10، الفقرة: 19. ص: 12.

(2) المرجع السابق. سفر القضاة، الإصحاح: 16، الفقرة: 18. ص: 316.

نبي الله دواد عليهما السلام، وأقاموا فيها مُدَّةً محدودةً لا تكادُ تُذكرُ في عمر التاريخ، كما تدلُّ على أنَّ غزَّة من أقدم البقاع على وجه الأرض، حيث ارتبط ذكرها بشخصيَّات موغلةٍ في القدم.

وقد بلغ كثيرٌ من المؤرِّخين بتاريخ "غزَّة" إلى عام 4000 قبل الميلاد، حيث وجد بعضُ المستكشفين آثارًا تمتد إلى العصر البرونزي (4000 ق. م)، وقد تعاقب عليها خلال هذا التاريخ الطويل العربُ القُدامى من جنوب الجزيرة العربية (ممالك سبأ ومعين وحمير)، والكنعانيُّون، والفراعنةُ، والهُكْسوس، والآشوريون، وبنو إسرائيل، والفرس، واليونانيُّون، والرُّومان، ثم فتحها المسلمون في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه. (1)

ولا شكَّ أنَّ عراقة التاريخ، وضخامة الإرث الحضاري بهذه الصورة يُعطي ميزةً تاريخيَّةً للمنطقة، ولكنَّه في الوقت نفسه يلقي حملًا فادحًا من التبعات الثقافيَّة على المؤرِّخين والأثريِّين في الكشف عن تلك الحضاراتِ المتعاقبةِ ودورها في خدمة الإنسانيَّة، ويلقي أفدح الأعباء على الأجيال اللاحقة في البناء كما بنى الأجداد السابقون، حتى نكونَ من العِصامِيِّين لا العِظامِيِّين، وهو ما يقتضي حالةً من الأمن والرخاء لا يسمح الاحتلالُ البغيضُ بتوفُّرِها، حتى تبقى الحقائقُ مكنونةً، على حين يُروِّج اليهودُ لأساطيرهم المتهافتةِ بواسطةِ آلةٍ إعلاميَّةٍ جبَّارةٍ يسيطرون عليها في المشرق والمغرب على السواء، ويُهدِّدون مَنْ يكشفُ زيفَها بالاغتيالِ الحِسِّيِّ أو المعنويَ، كما حدث للمفكر المصري جمال حمدان (1928-1993م)، والمفكر الفرنسي رجاء (روجيه) جارودي (1913-2012م)... وغيرهم كثير.

ثالثًا: الموقع الاستراتيجيّ:

(1) انظر تفاصيل هذه المراحل التاريخيَّة في: العارف، عارف. (1362هـ/ 1943م). **تاريخ غزة**. بيت المقدس: مطبعة دار الأيتام الإسلامية. ص: 10-72.

ليستْ غزَّة مجرَّد شريطٍ ساحليٍّ محدودِ المساحةِ في الزاوية الجنوبيَّةِ الشَّرقيَّةِ من ساحل البحر الأبيض المتوسط، ولكنَّها بهذا الموقع الاستراتيجيّ العبقريّ اكتسبتْ جملةً من المزايا، قلَّ أنْ تجدها في مكان آخر، أهمُّها:

(1) أنَّها حَلْقَةُ الوَصْل بين قارتي آسيا وأفريقيا، فمع التسليم بأنَّ شبه جزيرة سيناء تتبع رسميًّا قارَّةَ آسيا، لكنَّها على مدار التاريخ كانتْ شبهَ خاليةٍ من السُّكَّان، ولا تكادُ تجدُ فيها مدينةً ضخمةً عامرةً، وفي الوقت نفسه فإنَّ أول مدينة عامرة تلقى الخارج من مصر بعد عبور صحراء سيناء أو الخارج من الجزيرة العربية هي غزَّة، فيستروح المسافر المكدود من وَعْثاء السفر بأرض التيه؛ ليجد أرضًا ذاتَ جنَّاتٍ وعيونٍ، ومدينةً متكاملةَ العُمران، وحياةً مستقرةً تختلف كلَّ الاختلاف عن حياة البدو سواءً في الجهةِ الجنوبيَّةِ بالجزيرةِ العربيَّةِ وصحراءِ النَّقَب، أو في الجهة الغربيَّة بشبه جزيرة سيناء. وفي الوقت نفسه فإنَّ المسافر منها يتزوَّدُ بما في وُسْعِهِ مِنْ خيراتها قبل القدوم على صحراءَ موحشةٍ لأيامٍ متطاولةٍ.

(2) أنَّها على الطريق التجاريّ الرئيس الذي يربط اليمن والجزيرة العربية بالشام، الذي لك أن تسميه بطريق رحلتَي الشِّتاء والصَّيف، وهما الرحلتان اللتان امتنَّ الله بهما على أهل مكَّة في قوله: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ * إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾، [1] حيث اعتادوا السفر للتجارة في الصَّيف إلى الشام لاعتدال مناخه، وفي الشِّتاء إلى اليمن، وقد كان هاشم بن عبد مناف من أكثر أهل مكة تجارة فيها، حتَّى نُسِبَتْ إليه فقيل غزَّة هاشم، كما سيأتي.

ومن البدهيِّ أنْ يكون بها مجمعٌ تجاريٌّ على ذلك الطريق التجاريّ الرئيس المتحكِّم في مسار التجارة بين الشام واليمن، وقد أثرى بها عمر بن الخطاب ﷺ في الجاهليَّة، من خلال عمله في ترتيب نقل القوافل التجاريَّة منها وإليها، يقول ابن حوقل (ت367هـ): «وآخر مدن فلسطين ممّا يلي جفار مصر مدينةٌ يُقال لها

(1) سورة قريش، الآيتان 1-2.

غزَّة، وبها قبر أبي نضلة هاشم بن عبد مناف، سيّد قريش أجمع، وبها مولد محمّد بن إدريس الشَّافعيّ أبي عبد الله الفقيه النبيل رحمه الله، وقبره بالفسطاط، ومنها أيسر عمر بن الخطّاب في الجاهليّة؛ لأنَّها كانتْ مُسْتطرقًا لأهل الحجاز، وكان عمر بها مُبَرْطِسًا».[1]

(3) أنَّها كانت مركزًا مُهِمًّا من مراكز البريد، وبخاصَّةٍ في عهد سلاطين المماليك، عندما كانت مصر والشَّام تحت سلطانٍ واحدٍ، فمن أعظم منجزات الحضارة الإسلاميَّة الاهتمام بمراكز البريد، حيث كانت له إدارة خاصة تعرف بديوان البريد، وقد تأسَّس في زمن معاوية بن أبي سفيان وكانت فيه مراكز بها خيول مضمَّرة، على مسافات مختلفة باختلاف أحوال العمران ووجود الماء ونحوه، فإذا ما جاء الرسول بالبريد وقد تعب فرسه، حمل رسالته رسول آخر على فرس مستريح حتى يصل إلى غايته، يقول ابن فضل الله العمري (ت749هـ): «فأما أول من وضع البريد في الإسلام فمعاوية بن أبي سفيان ﷺ حين استقرت له الخلافة، ومات أمير المؤمنين علي ﷺ، وسلم له ابنه الحسن، وخلا من المنازع، فوضع البريد لتسرع إليه أخبار بلاده من جميع أطرافها، فأمر بإحضار رجال من دهاقين الفرس وأهل أعمال الروم وعرفهم ما يريد، فوضعوا له البُرُدَ، واتخذوا لها بغالًا بأكفٍّ كان عليها سفر البريد». [2]

---

(1) ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادي. (1938م). **صورة الأرض**. بيروت: دار صادر، مصورة عن طبعة ليدن، هولندا. ص: 172. والمبرطس (بالسين والشين) هو الذي يكتري للناس الدواب، ويأخذ على ذلك جُعلًا، فيما يعرف اليوم بالسِّمْسَار. ينظر: مجمع اللغة العربية بالقاهرة. (1401هـ/ 1981م). **المعجم الكبير**. القاهرة: مجمع اللغة العربية، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث. حرف الباء. مادة: (برطس). ص: 233.

(2) ابن فضل الله العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى القرشي. (1408هـ/ 1988م). **التعريف بالمصطلح الشريف**. تحقيق: محمد حسين شمس الدين. بيروت: دار الكتب العلمية. ص: 239-240.

ويقول ابن الطَّقْطَقِي (ت709هـ) عن فوائده: «ومن جملة الأشياء وضعهم البريد بكلّ مكان؛ طلبًا لحفظ الأموال، وسرعة وصول الأخبار، ومتجدّدات الأحوال». (1)

وقد ذكر القلقشندي أنَّ غزَّة بها مركز رئيس من مراكز البريد، وأنه تتفرع منها ثلاثة طرق بريدية رئيسية تتوجه إلى الكرك ودمشق وصفد. (2)

ولا شكَّ أنَّ التحكم في مراكز البريد يعني التحكُّم في شبكة الاتصالات في ذلك الوقت، وهي الشَّبكة التي تتحكم في نقل المعلومات، ووضع العيون ومراقبة الثغور ونقل الأموال... وغيرها، وهي أعمال تقوم بها وزارات وإدارات شتى في الوقت الحاضر، ولذا كانت ولاية البريد من أهم الولايات، ومراكزها تختار بعناية فائقة؛ لأنَّها نقاط تحكم في مفاصل الدولة وتسيير شئونها داخليًّا وخارجيًّا.

رابعًا: الثَّراء الدلاليّ للاسم

واهمٌ مَنْ يظنُّ أنَّ الاسمَ مجرَّدُ علامةٍ تُميِّز شخصًا من آخر، وواهمٌ مَنْ يُردِّد أنَّ الأسماءَ لا تُعلَّل، فتلك مقولةٌ لَخْناءُ موغلةٌ في البُطلانِ والفسادِ، وناسبةٌ واضعي الأسماءِ إلى غيابِ الحكمةِ والرَّشاد، فالأبُ عندما يُسمِّي ابنَهُ لا يخبطُ بالاسم خبطَ عشواءَ، وإنَّما يختاره لعلّة ما، سواءً صرَّح بها أو أضمرها في نفسه. وقد أشارَ ابنُ الأعرابيّ (ت231هـ) إلى حكمةِ العربِ في وضع الأسماء قائلًا: «الأسماءُ كلُّها لعلّةٍ خَصَّت العربُ ما خَصَّت منها، من العِلل ما نعلمُه، ومنها ما نجهَلُه، فمكَّة سُمِّيتْ

(1) ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا. (1418هـ/ 1997م). **الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية**. تحقيق: عبد القادر محمد مايو. بيروت: دار القلم العربي. ص: 112.

(2) انظر: القلقشندي، أحمد بن علي الفزاري. (د. ت). **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**. بيروت: دار الكتب العلمية. ج: 14، ص: 424-425.

مكَّة لجذْبِ الناس إليها، والبصرة سُمِّيت البصرة للحجارة البيض الرِّخْوة بها، والكوفة سُمِّيت الكوفة لازْدِحام الناس بها... فإنْ قال قائلٌ: لأيِّ عِلَّة سُمِّي الرَّجُلُ رجلا والمرأةُ امرأَة، قلنا: لِعللٍ علِمَتْها العربُ وجَهِلْناها أو بعضَها، فلم تَزُلْ عن العرب حكمةُ العلمِ بما لحقَنا من غموض العِلَّة، وصعوبةِ الاستخراج علينا». (1)

وقد بقي اسم "غزَّة" دون تغيير منذ العهد القديم حتى يومنا هذا، ولكن اختلف هذا الاسم قليلًا باختلاف الحضارات والاحتلالات التي تعاقبت عليها، ومن ثم تعددت الرؤى حول تفسير الاسم وفحوى دلالته، ويمكن أن نحصرها في اتجاهين:

(أ) التفسير الأجنبيّ: ويقوم على أنَّ مدينة غزَّة كانت معروفة قبل الإسلام بعشرات القرون، وتعاقبت عليها حضارات ذات مشارب مختلفة، فمن قائل إنَّ أصل التسمية عبرانيّ، ويسمونها "عزَّة" بالعين، وإنها من العزة بمعنى القوة والمنعة، ومن قائل إنَّ أصل التسمية فارسي بمعنى الكنز الملكي، ويزعمون أنَّ أحد ملوك الفرس دفن فيها ثروته، وغاب عنها، ثم عاد إليها فوجدها، ومن قائل إنَّ أصل التسمية يوناني ويعني الخزينة أو الثروة، لكن الثابت أنها عرفت بهذا الاسم قبل الاحتلال الفارسي أو اليوناني أو الروماني لها. (2)

(ب) التفسير العربيّ: حيث جنح بعضهم إلى الأسطورة، وزعم أنَّه اسم امرأة، وأنها كانت زوجة لرجل يسمى "صور"، وهو الذي بنى مدينة صور، (3) وتلك خرافات مترددة في الكتب العربية في تفسير أسماء: إفريقيا ومصر والأندلس... وغيرها.

---

(1) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (د.ت). **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**. تحقيق: محمد أحمد جاد المولى (وآخرين). ط3. القاهرة: دار التراث. ج: 1، ص: 400.

(2) انظر في هذه الآراء وغيرها: العارف. **تاريخ غزة**. (مصدر سابق). ص: 7-8.

(3) انظر: الحموي، أبو عبد الله ياقوت الرومي. (1995م). **معجم البلدان**. ط2. بيروت: دار صادر. ج:4، ص: 202.

ومن ذاهب إلى أنَّ لها أصلًا في الاشتقاق العربيِّ، حيث نقل عن أبي زيد الأنصاري اللغويّ قوله: «العربُ تقولُ: قد غزَّ فلانٌ بفلانٍ، واغتزَّ به، واغْتَزَى به: إذا اختصَّه من بين أصحابه». (1)

وفي تاج العروس عن أبي زيد: «والغزز: الخصوصية، وأنشد:

فَمَنْ يَعْصِبْ بِلِبَّتِهِ! اغْتِزَازًا * فَإِنَّكَ قَدْ مَلأْتَ يَدًا وَشَامَا**

أي: فمن يلزم قرابته وأهل بيته بالبر، فإنَّك قد ملأت بمعروفك اليمن والشام». (2)

والباحث يرفض كل هذه الاجتهادات التفسيريَّة؛ لأنَّها أقدم من كلِّ هذه الحضارات، ولعلَّ الأقرب أنَّ اسمها كان في الكنعانيَّة (هزاتي)، وهو الأقدم، ومنها حُرِّفَ الاسم في الحضارات المختلفة وفق قوانينِ التطوُّرِ الصَّوتيِّ والاقتراضِ اللُّغويَّ، وإنْ ركنَ كثيرٌ من اللغويِّين والجغرافيِّين إلى تلك الاجتهادات التفسيريَّة التي لا تستند إلى دليل علمي موثق.

وفي الوقت نفسه فإنَّنا نشدد على أنَّ كلَّ الاجتهاداتِ ذاتُ دلالة إيجابيَّةٍ، فهي أرضٌ للعزَّةِ والقوَّةِ منذ أن سكنها العربُ الكنعانيُّون الذين وُصِفوا في القرآن الكريم بالجبَّارين، وأرضٌ للثروة والغنى، وأرض مختصَّةٌ ومختارةٌ من بين البلدان.

خامسًا: موطنُ كثيرٍ من الأماجدِ:

(1) ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري الرويفعي الأفريقي. (1414هـ). **لسان العرب**. ط3. بيروت: دار صادر. ج:5، ص: 388.

(2) الزبيدي، أبو الفيض محمد بن محمد الملقب بمرتضى. (1395هـ/ 1975م). **تاج العروس من جواهر القاموس**. تحقيق: مجموعة من المحققين. الكويت: دار الهداية. ج: 15، ص: 257-258.

ليس من هدفي هنا سرد تراجم الزعماء والعلماء والأدباء وغيرهم من الفضلاء الذين ولدوا في غزَّة، أو سكنوها، أو دفنوا بها، فهؤلاء يعدُّونَ بالمئات، بل بالآلاف، ويكفي أن تبحث في أي موسوعة من موسوعات التراجم عن لقب "الغزِّيّ"، لتجد المئات من أهل الفضل الذين يحملون هذا اللقب، في سلسلة متصلة على مرِّ التاريخ، منذ ابتداء التاريخ الإسلامي حتى يومنا هذا، وقد تضمن المجلد الرابع من كتاب: إتحاف الأعزَّة في تاريخ غزَّة؛ لعثمان مصطفى الطبَّاع الغزيّ ترجمة أربعة عشر ومئتين من الأعيان الذين أنجبتهم مدينة غزَّة، أو نزلوا بها ونسبوا إليها.

ولكنني سأكتفي باثنين فقط من أولئك الأماجد، الذين لهم صلة ببيت النبوَّة من ناحية، وكان لهم تأثير بالغ في مسار الحضارة الإسلامية وتعزيز القيم الإنسانية من ناحية أخرى، هما:

(1) هاشم بن عبد مناف: [1]

وهو جد والد الرسول ﷺ، والذي تنسب إليه غزَّة فيقال: "غزَّة هاشم"، وهو ما يقتضي الوقوف على سرِّ هذه الإضافة، وبيان جملة من الأسرار المتعلقة بحياته التجاريَّة، والتي تسبَّبتْ في هذه النسبة.

بداية، يكاد يتفق المؤرخون على أنَّ الاسم الحقيقي لهاشم هو "عمرو"، ولكنَّه تغير إلى "هاشم"؛ لأنَّه أوَّل من هَشَمَ الثَّريد لقومه بمكَّة في إحدى المجاعات، يقول ابن سعد (ت230هـ): «فَأَصابَت قُرَيشًا سَنَواتٌ ذَهَبنَ بِالأَموالِ، فَخَرَجَ هاشِمٌ إِلَى الشَّامِ، فَأَمَرَ بِخُبزٍ كَثيرٍ فَخُبِزَ لَهُ، فَحَمَلَهُ في الغَرائِرِ عَلَى الإِبِلِ، حَتى وافَى مَكَّةَ، فَهَشَمَ ذَلِكَ الخُبزَ، يَعني كَسَرَهُ وثَرَدَهُ، ونَحَرَ تِلكَ الإِبِلَ، ثُمَّ أَمَرَ الطُّهاةَ

(1) ينظر ترجمته في: ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع. (1421هـ/ 2001م). **الطبقات الكبير**. تحقيق: علي محمد عمر. القاهرة: مكتبة الخانجي. ج: 1، ص: 57-61. الزركلي، خير الدين بن محمود الدمشقي. (2002م). **الأعلام**. ط15. بيروت: دار العلم للملايين. ج: 8، ص: 66.

فَطَبَخوا، ثُمَّ كَفَأَ القُدورَ عَلَى الجِفانِ، فَأَشبَعَ أَهلَ مَكَّةَ، فَكانَ ذَلِكَ أَوَّلَ الحَيا بَعدَ السَّنَة الَّتي أَصابَتهُم، فَسُمّيَ بِذَلِكَ هاشِمًا». [1]

وهو الموقف الذي خلَّده وهب بن عبد بن قُصَيّ بن كلاب، حيث يقول: [2]

تَحَمَّلَ هَاشِمٌ مَا ضَاقَ عَنْهُ * وَأَعْيَا أَنْ يَقُومَ بِهِ ابْنُ بِيضِ**
أَتَاهُمْ بِالغَرَائِرِ مُتْأَقَاتٍ * مِنَ ارْضِ الشَّامِ بِالبُرِّ النَّفِيضِ**
فَأَوْسَعَ أَهْلَ مَكَّةَ مِنْ هَشِيمٍ * وَشَابَ الخُبْزَ بِاللَّحْمِ الغَرِيضِ**
فَظَلَّ القَوْمُ بَيْنَ مُكَلَّلَاتٍ * مِنَ الشِّيزَى، وَحَائِرُهَا يُفِيضُ**

كما قال فيه عبد الله بن الزِّبَعْرى (ت15هـ): [3]

عَمْرُو الَّذِي هَشَمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ * وَرِجَالُ مَكَّةَ مُسْنِتُونَ عِجَافُ**

ولا شكَّ أنَّ هذا الموقف يدلُّ على كرمٍ فيَّاضٍ، ويدل على ثراءٍ عريضٍ، نجم عن تصرفات ماليَّةٍ رشيدةٍ، فقد ذكر المؤرِّخون أنَّه أول من سنَّ لقريش رحلتي الشِّتاء والصَّيف المذكورتين في القرآن الكريم، وأنَّه بسبب ريادته التجاريَّة كان يجلس مع القادة والزعماء، ليس في الجزيرة العربية وحدها، بل في بلاد الروم التي قد كان يتوغل فيها أثناء الرحلة إلى الشام، وفي بلاد الحبشة التي قد كان يعبر إليها أحيانًا أثناء الرحلة إلى اليمن، يقول ابن سعد (ت230هـ): «وكانَ أَوَّلَ مَن سَنَّ الرِّحلَتَين لِقُرَيشٍ، تَرحَلُ إِحداهُما في الشِّتاء إِلَى اليَمَنِ، وإِلَى الحَبَشَة إِلَى النَّجاشيّ

([1]) ابن سعد. **الطبقات الكبرى**. (مصدر سابق). ج:1، ص: 57.

(2) ابن حبيب، محمد بن حبيب بن أمية الهاشمي. (1405هـ/ 1985م). **المنمَّق في أخبار قريش**. تحقيق: خورشيد أحمد فاروق. بيروت: عالم الكتب. ص: 98.

(3) ابن الزبعري، عبد الله بن الزبعرى بن قيس السَّهمي القرشي. (1401هـ/ 1981م). **شعر عبد الله بن الزِّبَعْرى**. تحقيق: يحيى الجبوري. ط2. بيروت: مؤسسة الرسالة. ص: 53.

فَيُكرِمُهُ ويَحبوهُ، ورِحلَةً في الصَّيف إِلَى الشَّامِ، إِلَى غزَّة، ورُبَّما بَلَغَ أَنقَرَةَ، فَيَدخُلُ عَلَى قَيصَرَ فَيُكرِمُهُ ويَحبوهُ». [1]

ويبدو أنَّ هذا النشاط التجاريّ قد جعله ذا مال وفير وثراء عريض، فتولَّى الرِّفَادَةَ والسِّقايةَ، فكان يسقي الحجيج ويُطْعِمُهم، وينادي في قريش: «يا معشر قريش، إنَّكم جيران الله وأهل بيته الحرام، وإنَّ الحاجَّ ضيفُ الله وزُوَّارُ بيته، وهم أحقُّ الضَّيفِ بالكرامةِ، فاجعلوا لهم شرابًا وطعامًا أيام هذا الحجِّ، حتَّى يَصْدُرُوا عنكم، ففعلوا». [2]

وأغلب الظن أنَّ هذا النداء كان من أجلِ أنْ يشعر جميعُ القرشيِّين أنهم شركاء في هذا العمل، وأنَّه لا ينفرد به وحده، فربما تسلَّل الحسدُ إلى قلوب بعضهم، أمَّا من الناحية الواقعيَّة فقد كان كثيرٌ من الناس يرسلون الشيء اليسير من الطعام والشراب بحسب قدرتهم، وكان هو الذي يتحمَّل الجانب الأكبر في هذا المقام، في مشهد من مشاهد الكرم الفياض الذي يستمر حتى يصدر الحجيج من مِنًى.

وفي إحدى رحلاته التجارية كان متوجِّهًا إلى الشام، فمرَّ بسوق للنبط، فوجد فيه امرأة ذات حزم وجمال، فسأل عنها: أَأَيِّمٌ هيَ أَم ذاتُ زَوجٍ؟ فَقيلَ لَهُ: أَيِّمٌ كانَت تَحتَ أُحَيحَةَ بن الجُلاَح، فَوَلَدَت لَهُ عَمرًا ومَعبَدًا ثُمَّ فارَقَها... فَخَطَبَها هاشِمٌ، فَعَرَفَت شَرَفَهُ ونَسَبَهُ، فَزَوَّجَتهُ نَفسَها، ودَخَلَ بِها، وصَنَعَ طَعامًا، ودَعا مَن هُناكَ مِن أَصحاب العير الَّذينَ كانوا مَعَهُ، وكانوا أَربَعينَ رَجُلاً مِن قُرَيشٍ فيهم رِجالٌ مِن بَني عَبد مَنافٍ ومَخزوم وسَهمٍ، ودَعا مِنَ الخَزرَج رِجالًا، وأَقامَ بِأَصحابِه أَيَّامًا، وعَلِقَت سَلمَى بِعَبد الـــمُطَّلِب فَوَلَدَتهُ، وفي رَأسِه شَيْبَةٌ، فَسُمِّيَ شَيْبَةَ، وخَرَجَ

([1]) ابن سعد. **الطبقات الكبرى**. ج:1، ص: 57.

(2) الطبري، محمد بن جرير. (1387هـــ). **تاريخ الطبري**. ط2. بيروت: دار التراث. ج: 2، ص: 260.

هاشِمٌ في أَصحابِه إِلَى الشَّام حَتى بَلَغَ غزَّة، فاشتَكَى، فَأَقاموا عَلَيه حَتى ماتَ فَدَفَنوهُ بِغزَّة، ورَجَعوا بِتَركَتِه إِلَى ولَدِه». [1]

وقد رثاه الشَّاعرُ مطرودٌ الخُزاعيُّ، وذكر وفاته بغزَّة، حيث يقول: [2]

مَاتَ النَّدَى بِالشَّامِ لَمَّا أَنْ ثَوَى * فِيهِ بِغزَّة هَاشِمٌ، لا يَبْعُدُ**

لا يَبْعُدَنَّ رَبُّ الفِنَاءِ نَعُودُهُ * عَوْدَ السَّقِيمِ يَجُودُ بَيْنَ العُوَّدِ**

فَجفَائُهُ رُذُمٌ لِمَنْ يَنْتَابُهُ * وَالنَّصْرُ مِنْهُ بِاللِّسَانِ وَبِالْيَدِ**

وهو ما يدلُّ على أنَّ غزَّة كانت المحطَّة الأخيرة في حياة هذا الرجل الحسيب الكريم، فاستحقَّتْ شرف الإضافة إليه، فقيل لها غزَّة هاشم، ومن العجيب أنَّ الرجل قد حقَّق كل هذه المكارم في عمر قصير، حيث تكاد تجمع الرِّوايات على أنَّه توفي شابًّا، وعمره خمسة وعشرون عامًا، وهو الراجح، وقيل: عشرون عامًا فقط. [3]

وفي غزَّة القديمة موضع لضريح هاشم، اعتادت طائفة "البَهَرَة" –وهم من الشِّيعةِ الإسماعيليَّةِ الباطنيَّةِ –على الذهاب لزيارته، حيث يعتبرونه أحد المقدَّسات الخمسة التي يجب على أتباعهم الحجَّ إليها، إلى جوار كل من: المسجد الإبراهيميّ، والمسجد الأقصى، والمقام الحسيني في مصر، ومغارة أهل الكهف في الأردن. وفي عام 1994م طلبت طائفة البهرة من السلطة الفلسطينيَّة السماح لها بتطوير ضريح

([1]) ابن سعد. **الطبقات الكبرى**. (مصدر سابق). ج:1، ص: 60.

(2) البلاذري، أحمد بن يحيى. (1959م). **أنساب الأشراف** (ج1). تحقيق: محمد حميد الله. القاهرة: دار المعارف. ج: 1، ص:63.

([3]) المصدر السابق. ج:1، ص: 63.

هاشم، فسمحت لها، وأنفقت 30 ألف دولار على تطويره، وأقامت احتفالًا كبيرًا بمناسبة الافتتاح حضره سلطان البهرة، ووفَّرت له السلطة حراسة خاصَّةً. (1)

والآن تمَّ بحمد الله منع هذه الطائفة الضَّالَّة من الحضور، ومنع الناس من الذهاب إليه، والتمسُّح به، والذبح له، فقد كانت هناك شركيَّاتٌ كثيرة يقوم بها من يأتي إليه طلبًا للإنجاب أو قضاء الحوائج، ناهيك عن الاعتقاد في كثيرٍ من خوارق العادات التي ينسبونها إليه، ومع زيادة وعي الناس، ومؤازرة الحكومة الرشيدة بغزَّة لجهود العلماء المصلحين قُطِعَ دابر هذه الأعمال التي يأباها النقل الصريح والعقل الصحيح.

وإلى جوار ذلك الضريح يوجد مسجد السيد هاشم، وليس من الوارد أنه أنشئ بعد وفاة هاشم، فقد كانت وفاته قبل الإسلام بنحو قرن من الزمان، ولا من الوارد أنَّه بني أول الفتح في عهد عمر بن الخطاب ﷺ، وإنَّما الراجح أنَّه قد بُنِي في عهد المماليك، وقد جدَّده السلطان عبد المجيد العثمانيّ سنة 1266هـ/ 1830م. (2)

وانتساب غزَّة إلى جدِّ الرسول ﷺ فيه من الشَّرَف ما فيه، فهو قيمةٌ وقامةٌ إنسانيَّةٌ كبرى تضاف إلى مجد هذه البقعة المباركة مكانًا وإنسانًا، وثراؤه فيها دليلٌ على أنَّها أرضٌ مباركةٌ مُفْعَمَةٌ بالخيرات الحسِّيَّةِ والمعنويَّة، وارتباطها بالاسم الناجم عن موقفٍ من مواقفِ الجودِ دليلٌ على تأصُّلِ الكرمِ الفيَّاض في تربتها.

---

(1) انظر: شحادة، أسامة. والكسواني، هيثم. (1428هـ/ 2007م). **الموسوعة الشاملة للفرق المعاصرة في العالم**. القاهرة: مكتبة مدبولي. ج:1، ص: 122. وفي المصدر تعريفٌ مفصَّلٌ بتلك الطائفة من حيث نشأتها وتاريخها وعقائدها وأماكن انتشارها.

(2) ينظر في تاريخ ذلك المسجد: الطبَّاع، عثمان مصطفى الغزيّ. (1420هـ/ 1999م). **إتحاف الأعزَّة في تاريخ غزَّة**. تحقيق: عبد اللطيف زكي أبو هاشم. غزة: مكتبة اليازجيّ. ج2: ص: 160-162.

(2) الإمام الشَّافِعِيّ: [1]

جمهور أهل العلم على أنَّ الإمام الشافعيَّ قد ولد بغزَّة، حيث صرَّحَ هُوَ بولادته فيها قائلًا: «وُلِدْتُ بغزَّة سنة خمسين ومائة، وحُمِلْتُ إلى مكَّة وأنا ابن سنتين، قال: وكانت أمي من الأزد، وغزَّة من بيت المقدس على ثلاث مراحل». [2]

وقد وردت بعض الروايات أنَّه ولد بعسقلان من أرض فلسطين، وليس فيه كبير خلاف؛ «لأنَّ عسقلان هي الأصل في قديم الزمان، وهي وغزَّة متقاربتان، وعسقلان هي المدينة، فحيث قال الشافعيُّ غزَّة أراد القرية، وحيث قال عسقلان أراد المدينة»، [3] كما وردت روايات أخرى فُهِمَتْ على غير وجهها -ربَّما بسبب العصبيَّة -تتحدَّث عن مولده بمكَّة أو اليمن، وقد جمع بلديُّه الإمام ابن حجر العسقلاني (ت852هـ) بينها جمعًا لطيفًا بقوله: «فالذي يجمع الأقوال أنَّه ولد بغزَّة عسقلان، ولـــمَّا بلغ سنتين حوَّلته أمه إلى الحجاز، ودخلت به إلى قومها وهم

---

(1) الإمام الشافعي أشهر من أن يترجم له، ولكن ينظر في حياته: أبو زهرة، محمد. (1987م). **الشافعيّ: حياته وعصره – آراؤه وفقهه**. ط2. القاهرة: دار الفكر العربي. الجندي، عبد الحليم (1982م). **الإمام الشافعي ناصر السنَّة وواضع الأصول**. ط2. القاهرة: دار المعارف. الدقر، عبد الغني. (1417هـ/1996م). **الإمام الشافعي فقيه السنة الأكبر**. ط6. دمشق: دار القلم. السويدان، طارق. (1433هـ/2012م). **الإمام الشافعيّ: السيرة المصوَّرة**. ط3. الكويت: شركة الإبداع الفكري للنشر والتوزيع.

(2) الحموي، ياقوت بن عبد الله الرومي. (1414هـ/ 1993م). **معجم الأدباء**. تحقيق: إحسان عباس. بيروت: دار الغرب الإسلامي. ج: 6، ص: 2394.

(3) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني. (1406هـ/ 1986م). **توالي التأسيس لمعالي محمد بن إدريس**. تحقيق: أبو الفداء عبد الله القاضي. بيروت: دار الكتب العلميّة. ص: 51.

من أهل اليمن؛ لأنَّه كانت أزديَّةً، فنزلت عندهم، فلمَّا بلغ عشرًا خافتْ على نسبه الشريف أن يُنْسَى ويُضَيَّع؛ فحوَّلَتْهُ إلى مكة». (1)

وهو ما يجعل الباحث يقرِّرُ بما لا يدع مجالًا للشكِّ أنَّ غزَّة هي مسقط رأس الإمام الشافعيّ، وفي الوقت نفسه يعود إلى ما قرَّره سلفًا من أنَّ غزَّة لم تؤثِّر فيه فكريًّا ولا ثقافيًّا، ومعتقدٌ «أنَّ البيئة الثقافيَّة للإمام الشافعي هي الحجاز التي تلقَّى بها تعليمه الأول ما بين مكة المكرَّمة والمدينة المنورة؛ إذ قضى فيهما قرابة سبعة وعشرين عامًا، أي قرابة نصف عمره، فارتضع لبان ثقافتها، وشرب فصاحة الهذليِّين ببوادي الحجاز، وأخذ علم الإمام مالك بالمدينة، فالحجاز أولى به ثقافيًّا من غزَّة التي لم تشهد سوى ميلاده ومهده، وأولى به من مصر التي احتضنت رفاته؛ ولكنَّه لم يقض بها سوى خمس سنوات، ومثلهما في ذلك العراق واليمن». (2)

وليس معنى نفي النسبِ الثَّقافيَ قطعَ كلِّ صلةٍ بينه وبين غزَّة؛ فإنَّ تعلُّق الشخص بمحل ميلاده ومراتع صباه لا خلاف فيه بين أصحاب الفطرة المستقيمة، ورحم الله أبا تمَّام حبيب بن أوس الطائيَّ (ت231هـ) إذ يقول: (3)

نَــقِّلْ فُؤَادَكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ الهَوَى * مَا الحُبُّ إلا لِلْحَبِيبِ الأوَّلِ**
كَمْ مَنْــزِلٍ فِي الأرْضِ يَأْلَفُــهُ الفَتَى * وَحَنِينُهُ أَبَــدًا لأوَّلِ مَنْزِلِ**

---

(1) المصدر السابق. ص: 52.

(2) السواحلي، مصطفى محمد رزق. (1437هـ/ 2016م). **المعيار الثقافيّ للنَّسب الجُغرافيّ: الإمام الشافعيّ، المتنبِّي، ابن خُلْدون نماذج**. بروناي، جامعة السلطان الشريف عليّ الإسلامية: مجلة الشافعي. العدد الرابع. ص: 161.

(3) أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي (1983م). **ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي**. تحقيق: محمد عبده عزام. ط4. القاهرة: دار المعارف. ج:4، ص: 253.

وقد بقي الإمامُ الشافعيّ يتشوَّق إليها، حتى بعد شهرته، وتنقُّلِه بين الحجاز والعراق واليمن ومصر، حيث يقول:[1]

وَإِنِّي لَمُشْتَاقٌ إِلَى أَرْضِ غزَّة * وَإِنْ خَانَنِي بَعْدَ التَّفرُّقِ كِتْمَانِي**

سَقَى اللهُ أَرْضًا، لَوْ ظَفِرْتُ بِتُرْبِهَا * كَحَلْتُ بِهِ مِنْ شِدَّةِ الشَّوْقِ أَجْفَانِي**

ولا شكَّ أنَّ انتساب الإمام الشافعيَّ إلى غزَّة فيه من الشَّرَف لها ما فيه، فهو صاحب أكثر المذاهب الفقهيَّة انتشارًا على الأرض، ومؤسس علم أصول الفقه، ناهيك عن جهوده الفكريَّة التي كانت ولا تزال منارًا هاديًا لمن يلتمسون المعرفةَ الصَّحيحةَ، البعيدة عن الغلوّ والتطرُّف يمنةً أو يسرةً، ومعينًا ثرًّا للباحثين في شتى مجالات البحث العلميّ.

الخاتمة

بعد هذه الجولة التاريخيَّة الإنسانيَّة في رياض أرض غزَّة الظاهرة، تجدر الإشارة إلى أهمِّ النتائج التي تمخَّضَ عنها البحث:

- حازتْ غزَّة من التغطيةِ الإعلاميَّةِ موالياً أو مُعادياً ما لم تَحُزْهُ بقعةٌ على وجه الأرض؛ لأنَّ شعبها المجاهد يعيشُ في أكبر سجنٍ مفتوحٍ على وجه الأرض، ويُجاهدُ من أجل حياةٍ حرَّةٍ كريمةٍ في مواجهة أخبثِ وأقسى احتلالٍ عرفته البشريَّةُ في القرن العشرين.
- من أعظم مفاخر غزَّة أنَّه جزءٌ من الشَّام، والشَّام بما يشبه الإجماع بين المفسرين هو الأرض المقدَّسة التي بارك الله فيها، والتي تواترت فضائلها في العديد من آيات القرآن الكريم والأحاديث النبويَّة.

---

(1) الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس. (1420هـ/ 1999م). **ديوان الشافعيّ**. تحقيق: مجاهد مصطفى بهجت. دمشق: دار القلم. ص: 102.

● تُعَدُّ غزَّة من أقدم بقاعِ الأرض؛ حيث بلغ كثيرٌ من المؤرِّخين بتاريخها إلى عام 4000 قبل الميلاد، وقد تعاقب عليها خلال هذا التاريخ الطويل العربُ القُدامى من جنوب الجزيرة العربيَّة، والكنعانيُّون، والفراعنةُ، والهُكْسوس، والآشوريون، وبنو إسرائيل، والفرس، واليونانيُّون، والرُّومان، ثم فتحها المسلمون في عهد عمر بن الخطاب ﷺ.

● تتمتَّعُ غزَّة بموقعٍ استراتيجيٍّ فريدٍ؛ حيث إنَّها حَلْقَةُ الوَصْل بين قارتي آسيا وأفريقيا، وهي على الطريق التجاريّ الرئيس الذي يربط اليمن والجزيرة العربية بالشام، الذي كانت تمرُّ به رحلتَا الشتاء والصيف، كما أنَّها كانت مركزًا مُهِمًّا من مراكز البريد، وبخاصَّةٍ في عهد سلاطين المماليك.

● كانت التجارةُ في غزَّة سببًا مباشرًا في ثراءِ كثيرٍ من العرب قبل الإسلام، وعلى رأسهم هاشم بن عبد مناف جدُّ الرَّسول ﷺ، وعمر بن الخطاب ﷺ.

● يرفض الباحث جلَّ الاجتهادات التفسيريَّة لاسم غزَّة؛ لأنَّها لا تستند إلى دليلٍ علميٍّ موثَّق، ويرى أنَّ الأقرب أنَّ اسمها كان في الكنعانية (هزاتي)، وهو الأقدم، ومنها حُرِّفَ الاسم في الحضارات المختلفة وفق قوانين التطوُّرِ الصَّوتيِّ والاقتراضِ اللغويّ.

● أنجبتْ غزَّة على مرِّ التاريخ الآلاف من الزعماء والعلماء والأدباء وغيرهم من الفضلاء، ويكفي البحثُ في أيِّ موسوعة من موسوعات التراجم عن لقب "الغزِّيّ"، ليجد الباحثُ المئات من أهل الفضل الذين يحملون هذا اللقب، في سلسلة متصلة على مرِّ التاريخ، منذ ابتداءِ التاريخِ الإسلاميِّ حتى يومنا هذا.

● من أعظم مفاخر غزَّة انتسابها إلى هاشم، جدِّ الرَّسول ﷺ، وهو انتسابٌ فيه من الشَّرَف ما فيه، فهو قيمةٌ وقامةٌ إنسانيَّةٌ كبرى، وثراؤه فيها دليلٌ على أنَّها أرضٌ مباركةٌ مُفْعَمَةٌ بالخيرات الحسِّيَّةِ والمعنويَّة، وارتباطُها بالاسم الناجم عن موقفٍ من مواقفِ الجودِ دليلٌ على تأصُّلِ الكرمِ الفيَّاض في تُرْبَتِها.

● يؤيِّدُ الباحثُ ما ذهب إليه جمهور المؤرِّخين من أنَّ غزَّة هي مسقط رأس الإمام الشافعيّ، وفي الوقت نفسه يقرِّر أنَّ غزَّة لم تؤثِّر فيه فكريًّا ولا ثقافيًّا، لأنَّ البيئة الثقافيَّة للإمام الشافعيِّ هي الحجاز التي تلقَّى بها تعليمه الأول ما بين مكة المكرَّمة والمدينة المنورة، فالحجاز أَوْلَى به ثقافيًّا من غزَّة التي لم تشهد سوى ميلاده ومهده، وأَوْلَى به من مصر التي احتضنتْ رُفَاته؛ ولكنَّه لم يقضِ بها سوى خمس سنوات.

المصادر والمراجع

البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي. (1422هـ). **صحيح البخاري**. تحقيق: محمد زهير الناصر. بيروت: دار طوق النجاة.

البلاذري، أحمد بن يحيى. (1959م). **أنساب الأشراف** (ج1). تحقيق: محمد حميد الله. القاهرة: دار المعارف.

أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي (1983م). **ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي**. تحقيق: محمد عبده عزام. ط4. القاهرة: دار المعارف.

الجندي، عبد الحليم (1982م). **الإمام الشافعي ناصر السنَّة وواضع الأصول**. ط2. القاهرة: دار المعارف.

ابن حبيب، محمد بن حبيب بن أمية الهاشمي. (1405هـ/ 1985م). **المنمَّق في أخبار قريش**. تحقيق: خورشيد أحمد فاروق. بيروت: عالم الكتب.

ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني. (1406هـ/ 1986م). **توالي التأسيس لمعالي محمد بن إدريس**. تحقيق: أبو الفداء عبد الله القاضي. بيروت: دار الكتب العلميّة.

الحموي، أبو عبد الله ياقوت الرومي. (1995م). **معجم البلدان**. ط2. بيروت: دار صادر.

الحموي، ياقوت بن عبد الله الرومي. (1414هـ/ 1993م). **معجم الأدباء**. تحقيق: إحسان عباس. بيروت: دار الغرب الإسلامي.

ابن حنبل، أحمد بن محمد الشيباني. (1421هـ/ 2001م). **مسند الإمام أحمد بن حنبل**. تحقيق: شعيب الأرناؤوط (وآخرين). بيروت: مؤسسة الرسالة.

ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادي. (1938م). **صورة الأرض**. بيروت: دار صادر، مصورة عن طبعة ليدن، هولندا.

الدقر، عبد الغني. (1417هـ/1996م). **الإمام الشافعي فقيه السنة الأكبر**. ط6. دمشق: دار القلم.

ابن الزبعري، عبد الله بن الزبعرى بن قيس السَّهمي القرشي. (1401هـ/ 1981م). **شعر عبد الله بن الزِّبَعْرى**. تحقيق: يحيى الجبوري. ط2. بيروت: مؤسسة الرسالة.

الزبيدي، أبو الفيض محمد بن محمد الملقب بمرتضى. (1395هـ/ 1975م). **تاج العروس من جواهر القاموس**. تحقيق: مجموعة من المحققين. الكويت: دار الهداية.

الزركلي، خير الدين بن محمود الدمشقي. (2002م). **الأعلام**. ط15. بيروت: دار العلم للملايين.

أبو زهرة، محمد. (1987م). **الشافعيّ: حياته وعصره – آراؤه وفقهه**. ط2. القاهرة: دار الفكر العربي.

ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع. (1421هـ/ 2001م). **الطبقات الكبير**. تحقيق: علي محمد عمر. القاهرة: مكتبة الخانجي.

السواحلي، مصطفى محمد رزق. (1437هـ/ 2016م). المعيار الثقافيّ للنَّسب الجُغرافيّ: الإمام الشافعيّ، المتنبِّي، ابن خُلْدون نماذج. بروناي، جامعة السلطان الشريف عليّ الإسلامية: مجلة الشافعي. العدد الرابع.

السويدان، طارق. (1433هـ/2012م). **الإمام الشافعيّ: السيرة المصوَّرة**. ط3. الكويت: شركة الإبداع الفكري للنشر والتوزيع.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (د.ت). **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**. تحقيق: محمد أحمد جاد المولى (وآخرين). ط3. القاهرة: دار التراث.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. (د. ت). **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**. بيروت: دار الفكر.

الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس. (1420هـ/ 1999م). **ديوان الشافعيّ**. تحقيق: مجاهد مصطفى بهجت. دمشق: دار القلم.

شحادة، أسامة. والكسواني، هيثم. (1428هـ/ 2007م). **الموسوعة الشاملة للفرق المعاصرة في العالم**. القاهرة: مكتبة مدبولي.

الطبَّاع، عثمان مصطفى الغزيّ. (1420هـ/ 1999م). **إتحاف الأعزَّة في تاريخ غزَّة**. تحقيق: عبد اللطيف زكي أبو هاشم. غزَّة: مكتبة اليازجيّ.

الطبري، محمد بن جرير. (1387هـ). **تاريخ الطبري**. ط2. بيروت: دار التراث.

الطبري، محمد بن جرير. (1422هـ/ 2001م). جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري). تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي. القاهرة: دار هجر.

ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا. (1418هـ/ 1997م). **الفخري في الآداب السُّلطانيَّة والدول الإسلاميَّة**. تحقيق: عبد القادر محمد مايو. بيروت: دار القلم العربي.

العارف، عارف. (1362هـ/ 1943م). **تاريخ غزَّة**. بيت المقدس: مطبعة دار الأيتام الإسلامية.

ابن فضل الله العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى القرشي. (1408هـ/ 1988م). **التعريف بالمصطلح الشريف**. تحقيق: محمد حسين شمس الدين. بيروت: دار الكتب العلمية.

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاريّ الخزرجي. (1427هـ/ 2006م). الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي). تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي (وآخرين). بيروت: مؤسسة الرسالة.

القلقشندي، أحمد بن علي الفزاري. (د. ت). **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشيّ. (1414هـ/ 1990م). **تفسير القرآن العظيم**. تحقيق: محمود حسن. بيروت: دار الفكر.

الكتاب المقدس. (1995م). ط4. بيروت: دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط. سفر التكوين، الإصحاح: 10، الفقرة: 19.

مجمع اللغة العربية بالقاهرة. (1401هـ/ 1981م). **المعجم الكبير**. القاهرة: مجمع اللغة العربية، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث.

ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري الرويفعي الأفريقي. (1414هـ). **لسان العرب**. ط3. بيروت: دار صادر.